

القضايا في قصص محمد عبد الله المليباري

معتصم بالله عبد الرزاق

- باحث، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية، بحيدرآباد، الهند

Email: muhthasim@gmail.com

ولد الشيخ محمد عبد الله المليباري في مكة المكرمة، وكان ولادته في سنة خمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية الموافق لعام ١٩٢٩م. اسمه الكامل محمد بن عبد الله بن محي الدين بن فضل الله باشا المليباري، كان المليباري من الأسر التي استوطنت المملكة العربية السعودية. يقول الدكتور - يو سيد علوي عن أسرته :



"إن هذه الأسرة هاجرت إلى مكة المكرمة لأسباب سياسية متعلقة بالكفاح الوطني الهندي ضد الحكومة البريطانية. كانت هذه الهجرة في القرن العشرين، كانت معه في هجرته زوجته وأخته وابناه كوياموتي و كوياعلي. حوّل كوياموتي اسمه إلى عبد الله كان هو والد المليباري. قضى أيامه في الحرم الشريف كمطوّف"¹.

إن كثيرا من الأدباء الكبار ساهموا في تطوير الأدب العربي السعودي وبذلوا أوقاتهم لأدب العربي السعودي وفيها نرى الأستاذ عبد الله المليباري أيضا الذي كان روائيا و شاعرا ومؤرخا وكذلك قاصا، كانت مساهمة المليباري - في مجال القصة- مساهمة قيمة لأنه فهم نبضات قلب القراء من الجزيرة العربية ومن خارجها. نرى في إهداء مجموعة قصصه 'مع الحظ' لصاحب المعالي سيد الشيخ محمد سرور الصبان يقول: "لقد عرفناك

¹ مجلة الصلاح، الفصلية، المجلد2، العدد5، ربيع الأول 1428هـ، ص:50

يا سيدي شاعرا، وكاتبا، وأديبا... ثم عرفناك ناشرا ومحيا لتراثنا المغمور، ومعينا لمن كان غايته العلم والأدب". وتتبع في كلامه الأستاذ.. "وأنا إذ أهدى إليك كتابي هذا كفرد من الأمة العربية إنما أهديه وأنا مؤمن بأن هديتي لا توازن شيئا بجانب هداياك الجمة العظيمة لهذه الأمة.. ولذلك بالقياس إليك فقط... أما بالقياس إلي فإنما أعظم هدية... لأنها كل ما أملكه".¹ نقرأ في قصص الأستاذ عبد الله المليباري قضايا مختلفة متعلقة بمواضيع مختلفة، حينما نقرأ قصصه من مجموعتيه نفهم أنه فهم جيدا أحوال بلاده وأحوال الناس فيها، أراد الأستاذ عبد الله المليباري بقصصه أن يستقيم اعوجاج أمته، ولذا كثر القراء لكتب الأستاذ محمد عبد الله المليباري، يمكن للقارئ أن يذكر نفسه عن المصائب التي أصابته في خلقه أو في حياته، وفي مجالات شتى. ويقول زهير محمد جميل كتيبي في كتابه "واستطاع المليباري عبر قصصه أن يتناول أهم القضايا العصرية جوانبه النفسية الدقيقة، الإيجابيات والسلبيات. والخير والشر والأطماع، وألغاز ومعاني قصصه ليست معقدة أو مستصعبة على الإدراك".²

القضايا الاجتماعية

عاش الأديب الماهر مع بيئته، وفهم الكاتب أحوال الناس وكتب قصصه متعلقة بهذه الأحوال، نرى في هذا المجال القضايا مختلفة مثل تمهيل رعاية اليتامى، والخوف عن البنين وكره البنات، وعاقبة الطلاق، وحياة ذو الإسراف. كثير من هذه القضايا هي القضايا الأسرية، مع هذه القضايا يقول عن سرقة الأدب لنثر أو غير ذلك، يقول عن عاقبتها في قصصه. يذكر الكاتب في قصته 'الثوب الجديد' عن الأيتام، كانوا في أحوال جيد مع أبويهم ولكن بعد وفاتهم تكون حياتهم ضيقة، ولذا مسؤولية هؤلاء اليتامى على

¹ مع الحظ: مجموعة قصة لمحمد عبد الله المليباري 1374 هـ، القاهرة، ص:6

² المليباري حارس اللغة العربية: زهير محمد جميل كتيبي، دار الثقافة للطباعة، جدة 1413 هـ، ص:141

أسرت الوالد ومن يعيش بعده، أراد الكاتب في هذا المجال رعاية من حياتهم المشقة والضيقة.

نشاهد في المجتمع كثيرا من الأفراد في الأسر الذين يخافون عن البنين، أنهم لا يريدون البنين أو البنات لأنهم يفكرون في النفقات التي تحتاج بعد وضع حملها وبعدها، ولذا أنهم يكرهون ويخافون عن الحمل، نسوا الناس وعد الله، يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: 'ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق'، يذكر الكاتب هذه الآية، والناس يفعلون عكس هذه الآية، يعني لا يريدون البنين بسبب خوفهم عن النفقات، نرى في قصة 'أريحية' فكرة ظهرت في ذهن بطل القصة 'فجأة وثبت إلى ذهنه أفكار أخرى: إن هذا الجنين المنتظر سوف يحتاج إلى نفقات لا رصيد لها في حسابه ووارداته وأول ما يحتاج إليه نفقات القابلة والولادة وقيمة بعض الملابس، من أين يا رب.. يدبرها؟'¹ يقول الكاتب في هذه القصة حال العمال الذين يعملون في مصانعهم ليل نهار، بل رواتبهم ضئيلة، ولا يستطيعون أن يعيشوا بهذه الرواتب الضئيلة، فيرجو الكاتب التغيير لهذه الأحوال في المجتمع. كثر عدد الناس الذين لا يريدون البنات، يبين الكاتب عن حال الناس الذين يرجعون إلى العصر الجاهلي، كان الناس في العصر الجاهلي في الظلام، كانوا يؤدون بناتهم، أصابتهم السوءاء في وجههم بسبب ولادة البنت، أما اليوم كثرت قتل الجنين في الأرحام. يقول الكاتب عن أسرة في قصته 'كاره البنات' عن الزوج الذي يفكر في زوجته بسبب ولادة البنات، يكره البنات بكثرة عدد بناته. تكون هذه الفكرة عكس تعليمات رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كتب الكاتب عن فكرة أخرى، ليست المرأة ضعيفة، فلها دور كبير في مجتمعها، وتستطيع أن تعمل كثير الأشياء في مجتمعها، لذا لا بد أن يمنح لها مكانتها، لا يستطيع الرجال أن يلعبوا دور النساء، يعبر الكاتب عن المرأة العربية 'تعيش المرأة أحوال المصائب كلها المشقات، هذه المشقات التي

¹ مع الحظ: مجموعة قصة لمحمد عبد الله المليباري 1374 هـ، القاهرة، ص: 85

تواجه الناس في صورة التي تخيف صاحبها أما المرأة وهي قوية تدافع هذه المشقات والمضرات، تقول بطلة الكاتب في قصته 'سأعيش قوية': "المرأة يا أستاذ لا تعاشر رجلا ما لم يكن أضعف منها، ولو أنها تتظاهر بالضعف أمامه، وفي تظاهرها ذلك قوتها، أما في باطنها وقرارة نفسها تعتقد أنها أقوى منه، لأنه لا تتطلع إلا إلى رجل واحد فقط، فإذا ما وجدته صرفت نظرها عن كل الرجال بخلافكم، فإن امرأة واحدة أو اثنتين أو ثلاثة لا يكفيكم، الرجل يهفو لأن يجد كل يوم امرأة".¹ تقول المرأة إنها قوية، المرأة تنتحر إذا واجهت المشكلة، هذه تضعف قوة المرأة، وليست المرأة أن تعيش كضعيف، إنها قوية ولها مكانتها في حياتها الاجتماعية.

حياة الزوجية، هي عقدة وثيقة بين المرأة والرجل ووراء هذه العلاقة تكون جيدا ومنها تكون الأولاد، وينشأ حسب علاقة والديهم، يقول الكاتب في قصة 'وثيقة الطلاق' عن الإيمان بينهما يعني بين الزوج والزوجة، وإلا يكون حياتهما في المشقة، تنشأ بينهما الشكوك وكذلك تكون علاقتهم مكسرا لأنه الحياة الزوجية حياة زجاجية، إذا حفظ الزوج والزوجة تكون هذا جيدا وإلا يكسر، هما لباس لآخر كما أشار القرآن إليها، ولا بد أن تعيش بدون خيانة ولا شكوك، وإلا تسبب هذه الأمور للطلاق. نرى كثيرا من الأسر في الحزن بين الزوج والزوجة بعد طلاقهم بسبب علاقة ابنتها أو بنتهما، يكون هذه المشكلة في ذهن الابن أو البنت أفكارا عديدة، تكثر هذه الأفكار في كل أنفس، يكون عيشه في حال مضطرب، تتأثر هذه الأحوال في حياته المستقبلية. نستطيع أن نفهم من قصص الكاتب محمد عبد الله المليباري عن الحياة بعد الطلاق، تكون في حال ضيقة، نذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "أبغض حلال عند الله الطلاق". يكون الزواج بين البكرة والعجوز زواجا بدون إكمال حق للبكرة، لأنه يقول الكاتب في قصة 'العم عبده' "إنها على حق، لأن البون شاسع بينهما، فهو عجوز قدماه على حافة القبر، وهي

¹ قاتلة الشيطان: مجموعة قصة لمحمد عبد الله المليباري، الطبعة الأولى، ص: 31/39

برعمة لم يكمل تفتحها بعد، فحرام عليه أن يعبث بقلبها، وحرام عليه أن تتبين أنفاسها الطاهرة بأنفاسه السقيمة¹

القضايا العقائدية

كتب الأستاذ عبد الله المليباري في قصصه عن إيمان المسلمين في بعض الأشياء الخطيئة، أراد بها الكاتب أن يعبر اعتقادات الناس في مجتمعه، كانت الاعتقادات في صور شتى، ناقش الأستاذ في هذه القضية إثبات وجود الله، وتكريم الأولياء، وقصة خضر عليه السلام والبلاء من الله. نسمع من الملحدين أسئلة مختلفة عن كفر وجود الله، وهم يريدون بأسئلتهم أن يسخر الإسلام وأهله، ولكن لم يعرفوا 'والله يستهزئ بهم' كما أشار إليه القرآن الكريم. على الرغم أن الكاتب يقص لنا عن هذه الحال في قصته 'أثبت لي وجود الله'، أن الناس يسألون عن وجود الله، و يسخرون عذاب جهنم فيها الإنس والجان معاً، والجن خلقت من النار، فكيف تستطيع النار أن تعذب الجن بها. وهم يسخرون عن إيمان القدر خيره وشره من الله سبحانه وتعالى.

لا يستطيع أحد أن يرى الله بأعينه ولكن يعلن هذا الكون عن وجوده، السماء والجبال والمخلوقات المختلفة والمطر والبرق والرعد والفلك كل تقول أن الله خلقنا وخلق الناس جميعاً. بل أكثر الناس لا يؤمنون، عندهم أسئلة شتى. سأل واحد عن وجود الله، 'أريد أن تثبت لي وجود الله؟ واعلم أني أنكر وجود الله قطعاً. ولا أؤمن بقوله وقرآنه'². نفهم من هذا السؤال بأن بعضاً من الناس يريدون مشاهدة الله، يعني الرأي بأعينهم في هذا الكون، لا يستطيع أحد أن يرى الله في هذا الكون إلا بإيمان وتقرير من المخلوقات المختلفة، والمخلوقات تعلن عن ثبوت الله سبحانه وتعالى. حينما سئل واحد من المؤمنين بهذا السؤال اتخذ حيلة أن يعلم الناس عن وجود الله يرمي التراب إلى وجه السائل، إذا وصل إلى هذا الأمر عند القاضي سأل عن هذا الأمر

¹ مع الحظ: مجموعة قصة لمحمد عبد الله المليباري 1374 هـ، القاهرة ص: 56

² المصدر السابق، ص: 67

قال العامل لا نستطيع وجود الله إلا بالحس والشعور - يقول في قصته 'يدرك بالحس والشعور..... ومتى أدركناه بحسنا وشعورنا ثبت لنا وجوده'¹

يقول الله سبحانه وتعالى عن النار في القرآن الكريم: "ولو شئنا لأتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين" (سورة السجدة، آية:13). بل يفكر بعض الناس كيف تستطيع نار أن تألم الجنة وهم من النار أيضا، يفكرون بعقلهم الضعيفة، ولذا يحتاج المعرفة أن النار تستطيع أن تعذب الجن أيضا، سأل واحد هذا السؤال لشيخ أحمد (بطل قصة الأستاذ 'أثبت لي وجود الله') إذن رمى بالتراب إلى وجهه وأصابه الألم، حكم القاضي أيضا على السائل، لأنه فهم أن التراب يستطيع أن يعذب الناس الذين خلقوا من التراب، هذه أيضا حيلة لتعليم درس جديد لمن أصابه الشكوك. تقولون إن المؤمن لا يكمل إيمانه إلا إذا آمن بأركان الإيمان 'السته' ومنها الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى، إذن لماذا تؤاخذ بسينئاتنا، وفرض الله العقاب الصارم لمن ارتكب جرما أو إثما في حين أن مرتكب الجرم والإثم مؤمن أن هذا الشر الذي حاق به من الله تعالى؟² علم الرسول صلى الله عليه وسلم الناس أن يؤمن في ستة أمور، وفيها عد الإيمان بالقدر و خيره وشره من الله، فهم بعض من الناس عكس ما أراد الله ورسوله، يكون الخير والشر من الله لبلاء، ولكن لا بد أن نؤمن أن القدر من الله والأعمال حسب هذا القدر من أنفسنا.

يعالج الكاتب في قصته 'أثبت لي وجود الله' الاعتقادات المعوجة من العقائد المستقيمة، استعمل الكاتب في هذه القصة وسائل مؤثرة لأن يتعلم الناس الاعتقادات الإسلامية بدون عوج. يذكر الكاتب عن التزام تكريم أولياء الله سبحانه وتعالى، البطل في قصته 'ثوب التساهيل' 'اليابا موسى مؤمن عميق الإيمان بالصالحين والأولياء وكراماتهم وخوارق عاداتهم، وإيمانه بهم كان

¹ المصدر السابق: ص:71

² مع الحظ: مجموعة قصة لمحمد عبد الله المليباري 1374هـ، القاهرة، ص:66

على شيء من الإسراف والمغالاة فيه، يتذكر الكاتب القارئ أن يكرم الأولياء الذين قيل عنهم في القرآن الكريم. أراد الكاتب بهذه القصة التعليم لمن يؤمن ومنتظر مجيء خضر عليه السلام، وأنهم ينتظرونه ليشتكواهم. أما في الحقيقة أن الخضر عليه السلام توفي، هذا الأمر واضح بأية القرآن الكريم التي أشار إليها الكاتب في مقدمته. يقول الكاتب في قصته 'من صحائف القدر' عن ابتلاء الله. يقول الله سبحانه وتعالى "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (آية رقم ١٥٥، سورة البقرة)¹، يكون البلاء من الله في صورة فجأة ومختلفة ولا نستطيع أن نعرف عن مجيئه، وكذلك يكون البلاء في بعض الأوقات على أقربائنا، مثل على البنين والزوج والوالدين وغيرهم.

القضايا السياسية

لا نرى في قصصه القضايا السياسية إلا بعض إشارات إليها، ولكن أنه كتب عن الحرب على اليهود، يوضح في قصته 'على رمال فلسطين' - الحس الذي يقول الأرض اليهودية أرض فلسطين، ليس لليهود أرض في رمال فلسطين، ولهذا السبب بعض الأفراد قادوا حربا عليهم، ليس الحس على اليهودية من جانب المسلمين فقط، ولكن نرى من الآخرين أيضا، يقول الكاتب في هذه القصة عن امرأة ساعدت جنديا مسلما في الحرب على اليهوديين: "إنها أخبرته أنه في أرض يهودية، ولا بد من الانتقام لأسرتها التي قتلها اليهود"، وكذلك يقول في آخر قصته عنها، "ولبت حسين (بطل القصة) مع الفتاة شهرين حتى شفيت ثم أسلمت وكانت له زوجا طيبة"²، كتب الكاتب هذه القصة أن يظهر الحس العامي على اليهود. حينما ندرس عن القضايا السياسية في كتبه نستطيع أن نرى الناس الذين ضاعوا ديارهم بأسباب الحضارة، الحضارة لازم لكل بلاد، ولكن حينما ترفع الحضارة البلاد

¹ سورة البقرة: آية رقم 155

² مع الحظ: مجموعة قصة لمحمد عبد الله المليباري 1374 هـ، القاهرة، على رمال فلسطين، ص: 21

لابد على الحكومة أن يحفظ أهلها أيضا، يذكر الكاتب عن هذه الحقوق الإنسانية. وكذلك يذكر عن حاجة الرواتب المستحقة للعمال الذين يعملون ليل نهار في مصانع مختلفة أو في أي مجال، ولهم حق أن يكسب ويحصل على رواتب مرتفعة، وكذلك يقول الكاتب قصة ولد أرسله أبوه للعمل في صغر سنه، غلقت أبواب الدراسة أمامه، ولا يكون هذا العمل صالحا للوطن، لأن الأولاد هم الثروة لبلادهم، نستطيع أن نقرأ في كتب الأستاذ محمد عبد الله المليباري عن العمال الأطفال.

القضايا الأخلاقية

ظهرت كتب الأستاذ في هذا المجال كثيرا، لأنه علم الكاتب عن قيمة المعالجة الأخلاقية، ولذا أتى بعض قصص بعناوين الأخلاق، تناول في كتبه الكسل، والفخر، والطمع، والحسد، والنفاق، والإيمان بين الأزواج، والآخرين مثل الأصدقاء وأعضاء الأسر والأقرباء، ونهب حقوق الآخرين. نرى في بعض الأسر السرور قبل زواج أولادهم، بعد زواج أبنائهم ينشأ في أسرته المجادلة بين أعضاء الأسر بسبب امرأة جديدة، أما في الحق تكون امرأة جاءت إلى بيت جديد كنور لها، ولكن يقع عكس ذلك، لأنه لا يصبر الناس بينهم ولا يحب أن يصبر لأعضاء أخرى. إذا كانت الأسرة مستعدة أن يصبر بين أعضائها تكون الأسرة في الفرح والسرور. يقول الكاتب أن يحفظ الفرح والسرور في الأسرة بالتعديل بينهم، وأن يرحم للصغار الذين ينشئون في أسرته. وإلا تكون علاقتهم في حال ضيق، ولذا يمثل الكاتب عن الأسرة في قصته 'الحائر' يترك فيها ولد أمه ويذهب مع زوجته التي قالت "طلقني وهات يدك عليها يمينا صادقة **لامين** فيها ولا خداع، أني سوف أظل مدى العمر المرأة التي أحبك وأخلصت لك، ولن أرضى أن استبدل بك غيرك ما بقي العمر"¹ قالت المرأة هذا القول بسبب قوة صبرها، وكانت امرأة جيدة وصالحة، أرادت أن تكون علاقة زوجها مع أمه وثيقة جدا، ولكن

¹ المصدر السابق: ص: 32

أمه تكرهها، ولذا رحل الزوج بزوجته إلى قرية بعيدة. لا يستطيع أن يبني الفرح والسرور في أسرة واحدة بدون التعديل والتعاون بين أعضائها.

يقول الكاتب عن الكسل، إذا أصاب لأحد الكسل والملل لا يستطيع له أن يغيرها بدون فكرة تساعده لتغييرها، ولا يستطيع لمن أصابه الكسل أن تكسب شيئاً، وأن يدرس من المجتمع، ولكن له أحلام كثيرة، ويرى من الأحلام بنظر إلى من حوله من الأغنياء، ومن يسافر في المراكب العالية. تتضمن القصة 'مع الحظ' الفكرة التي يدرس الكاتب القارئ أن يكون مجتهداً. لا ينجح الفاخر - هذه عبرة من قصة الكاتب عبد الله المليباري، يكون الفخر في مجال اكتساب المال وفي درجة العمل وغير ذلك، لا يستطيع أن يعمل كراض بفخره، يصيبه الشدة واليأس في آخر أعماله. وكذلك الطمع تساعد أن تجلس في حال مذلول من المجتمع، ويكره بأصدقائه وبأسرته ومن يعمل معه أيضاً. يظهر الكاتب أن هذه الأخلاق من الشيطان (إبليس)، يدرس إبليس الناس النفاق والحسد، ويشجع الناس أن يعتنق هذه الأخلاق في حياتهم اليومية، ولذا ينشأ بين الناس المجادلات والقتال، نرى في قصة "محادثة تلفونية مع إبليس": "والحسد أكثر فعالية من الخوف في استثارة النفوس، وإذا اعتاده إنسان ما فإنه يحدث تغيير عضوي، وتلحق به أمراض فتاكة، وتتغير صحته تغيراً بالغاً، وهو أختك بالكيان الفردي من الهموم التي تميت الشباب في شرح شبابه، وأختك من الأحران الطويلة، والقلق المستمر الذي يقول العلم عنهما أنهما يمهدان لنمو السرطان."¹

الأمانة أمر مهم بين الأفراد، خاصة في الحياة الأسرية، وإلا تكون حياتهم في حال قلق واضطراب، كتب الأستاذ عبد الله مليباري عن هذه الأشياء، يفهم للقراء من كتب المليباري عن تأثير الشيطان في حياتهم الأسرية والاجتماعية.

¹ قاتلة الشيطان: مجموعة قصة لمحمد عبد الله المليباري، الطبعة الأولى، ص: 21

وخلاصة القول أن الأديب الماهر الأستاذ محمد عبد الله مليباري كتب عن كل القضايا التي تواجه العالم العربي من بدايتها إلى العصر الحديث، نقرأ أثناء سطور كتبه الحل لكل مشكلات، وهذه ميزة عبد الله المليباري في كتابته، يقول حاتم صادق في مرثيته التي نشرت في صحيفة الشرق الأوسط: "هو كاتب إسلامي لا يشق له غبار دفع عن كثير من قضايا إسلامية، ومعاركة الأدبية الكثيرة تشهد له بمواقفه الصلبة والجريئة، تمسكه بالتراث العربي في الفكر والأدب نابع من إيمانه أن التمسك بالتراث والقيم الإسلامية يساعدنا على التصدي لكل الاتجاهات الفكرية والأدبية التي يعتبرها غريبة عن واقعنا وتاريخنا".¹

المصادر

1. جريدة الشرق الأوسط، حاتم صادق، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 4648 ، الاثنين 19-8-1991م
2. قاتلة الشيطان: مجموعة قصة لمحمد عبد الله المليباري، الطبعة الأولى
3. مجلة الصلاح، الفصلية، المجلد2، العدد5، ربيع الأول 1428هـ
4. المليباري حارس اللغة العربية، زهير محمد جميل كئبي، دار الثقافة للطباعة، جدة 1413هـ

¹ جريدة الشرق الأوسط، حاتم صادق، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 4648 الاثنين 19-8-1991م